الفكر البلاغي والدرس اللساني الحديث

المدرس الدكتور زهير كامل عباس الغريباوي
كلية الطب/ جامعة النهرين
zoo2015ooz@nahrainuniv.edu.iq

المدرس المساعد مصطفى رشيد ابراهيم
كلية الطب/ جامعة النهرين
mustafa.r.ibrahim@nahrainuniv.edu.iq

الكلمات المفتاحية: البلاغة – لسانيات النص – السبك – الحبك – القصدية – المقامية – التناص.

كيفية اقتباس البحث
الغريباوي، زهير كامل عباس ، مصطفى رشيد ابراهيم، الفكر البلاغي والدرس اللساني الحديث ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، حزيران ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٦ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Rhetorical Thought and Modern Linguistic Study

Lecturer Dr Zuhair Kamil Abbas Al-Ghraibawi
College of Medicine / Al-Nahrain University

Assistant Professor Mustafa Rashid Ibrahim
College of Medicine / Al-Nahrain University

Keywords : Rhetoric – Text Linguistics – Cohesion – Coherence – Intentionality – Situationality – Intertextuality.

How To Cite This Article
Al-Ghraibawi, Zuhair Kamil Abbas, Mustafa Rashid Ibrahim, Rhetorical Thought and Modern Linguistic Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, june 2026,Volume:16,Issue 6.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study examines the integrative relationship between classical Arabic rhetoric and modern linguistic analysis, particularly text linguistics, which moves beyond the isolated sentence toward analyzing the text as a cohesive entity based on mechanisms of coherence and cohesion. The research begins by defining linguistics as an objective study of language, and then focuses on De Beaugrande's seven textuality standards: cohesion, coherence, intentionality, acceptability, informativity, situationality, and intertextuality. The study demonstrates that these modern standards are not entirely new, but rather deeply rooted in Arabic rhetorical heritage, as reflected in rhetorical techniques such as conjunction and disjunction, fronting and delaying, metaphorical implication, amplification, quotation, and allusion. These parallels show that Arabic rhetoric anticipated modern linguistic approaches in revealing textual structure and communicative effect. This confirms that rhetoric

and modern linguistics are complementary fields in understanding the production, structuring, and reception of texts. The significance of this research lies in its contribution to bridging the perceived gap between the Arabic rhetorical tradition and modern linguistic studies. It demonstrates that Western theories of text analysis are, to a large extent, a continuation and development of the foundations laid by the ancient Arabs in the study of language and rhetoric. The research highlights the urgent need for a contemporary linguistic re-reading of the Arabic rhetorical tradition, one that moves it from the realm of normative, traditional study to the broader sphere of descriptive, systematic analysis. This will infuse it with new vitality and make it an active participant in the ongoing development of human linguistic thought. Consequently, this scholarly endeavor will have a profound impact on both modern Arabic rhetorical and linguistic studies.

الملخّص

يتناول هذا البحث العلاقة التكاملية بين الفكر البلاغي العربي والدرس اللساني الحديث، وبخاصة لسانيات النص / التطبيقية، التي تجاوزت حدود الجملة إلى دراسة النص بوصفه بنيةً مترابطة تتأسس على آليات الاتساق والانسجام. وينطلق البحث من تعريف اللسانيات باعتبارها دراسة موضوعية للغة، ليركز على المعايير النصية السبعة التي وضعها دي بوكراند، وهي: السبك، الحبك، القصدية، التقبلية، الإعلامية، المقامية، والتناص. ويبرهن البحث أنّ هذه المعايير ليست مستحدثة، وإنما تمتد جذورها في البلاغة العربية وأساليبها، مثل الوصل والفصل، التقديم والتأخير، الكناية، الإطناب، الاقتباس والتضمين، إذ توضح هذه المقارنات أن البلاغة العربية سبقت اللسانيات الحديثة في كشف آليات التأثير النصي وتماسك الخطاب. وبهذا تتأكد صلة الفكر البلاغي بالدرس اللساني الحديث بوصفهما مجالين متكاملين في فهم إنتاج النصوص وتحليلها واستقبالها. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يُسهم في ردم الهوة الوهمية التي يتصورها بعض الباحثين بين التراث البلاغي العربي والدرس اللساني الحديث، إذ يُثبت أن ما توصل إليه الغربيون من نظريات في تحليل النص إنما هو في جانب كبير منه استمرار وتطوير لما أسسه العرب القدامى في مجال دراسة اللغة والبلاغة. ويُلقي البحث الضوء على حاجة ملحة لإعادة قراءة التراث البلاغي العربي قراءةً لسانيةً معاصرة، تنتشله من نطاق الدراسة المعيارية التراثية إلى رحاب التحليل الوصفي المنهجي، مما يُضفي عليه حيويةً جديدة ويجعله شريكاً فاعلاً في مسيرة التفكير اللساني الإنساني. وهو ما يجعل هذا الجهد العلمي ذا أثر بالغ في الدراسات البلاغية واللسانية العربية الحديثة على حدٍّ سواء.

المقدمة

يُعدّ التراث البلاغي العربي من أعظم الإنجازات الفكرية التي أفرزتها الحضارة الإسلامية، إذ جمع بين الدقة التحليلية والعمق الجمالي في دراسة اللغة والخطاب. وقد نبع هذا التراث في أصله من الحاجة إلى فهم النص القرآني الكريم وبيان إعجازه، ثم امتد ليشمل الشعر والنثر والخطابة، وليُرسي منظومةً متكاملةً من المفاهيم والأدوات التي تُعنى بتحليل الكلام وبيان جماليات التعبير وأثره في المتلقي. غير أن هذا التراث ظل لزمن طويل حبيس الدرس التقليدي المعياري، الذي يهتم بحفظ القواعد وضبط الأحكام، دون أن يُوظَّف توظيفاً منهجياً في ضوء المناهج اللغوية الحديثة.

وفي المقابل، شهد القرن العشرون نهضةً لسانيةً واسعة النطاق، بدأت مع فرديناند دي سوسير الذي أرسى أسس البنيوية اللسانية، ثم تطورت مع المدارس اللسانية المتعاقبة كالتحويلية التوليدية والوظيفية والتداولية، حتى وصلت إلى لسانيات النص التي تجاوزت الجملة المنعزلة وانصرفت إلى دراسة النص بوصفه بنيةً كليةً متماسكة. وقد وضع روبرت دي بوكراند سبعةَ معاييرَ نصيةً باتت مرجعاً أساسياً في هذا الحقل، وهي: السبك، والحبك، والقصدية، والتقبلية، والإعلامية، والمقامية، والتناص. والتساؤل الجوهري الذي يُثيره هذا التوازي المعرفي هو: هل جاءت هذه المعايير مستحدثةً من رحم اللسانيات الغربية وحدها؟ أم أن لها جذوراً ضاربةً في عمق التراث البلاغي العربي؟

انطلق هذا البحث من هذا التساؤل المحوري، ليُبرهن أن البلاغة العربية لم تكن مجردَ منظومةٍ جمالية قديمة، بل كانت نظاماً تحليلياً متكاملاً سبق اللسانيات الحديثة في الكشف عن آليات تماسك النص وانسجامه وتأثيره في القارئ. فحين يُعرِّف القزويني البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، فإنه يلمح في جوهر هذا التعريف إلى ثلاثة محاور لسانية أساسية: النص وبنيته، والسياق بظروفه، والمتلقي بقدراته وتوقعاته. وهي المحاور ذاتها التي تُشكِّل العمود الفقري للدرس اللساني الحديث بمختلف مدارسه واتجاهاته.

ولأجل هذا الغرض، يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف المتكاملة، في مقدمتها: إبراز وجوه التوافق والتكامل بين الفكر البلاغي العربي ومعايير لسانيات النص الحديثة، وإثبات أن الأساليب البلاغية العربية كالوصل والفصل، والتقديم والتأخير، والكناية، والإطناب، والاقتباس والتضمين، تُؤدي وظائف نصية مماثلة لما تؤديه مفاهيم السبك والحبك والتناص وسائر المعايير اللسانية المعاصرة. كما يهدف البحث إلى المساهمة في تأسيس منهج تحليلي يجمع بين أصالة

التراث وانفتاح المعاصرة، على نحوٍ يُعزز ثقة الباحث العربي بموروثه العلمي ويدفعه نحو توظيفه في فهم الظاهرة اللغوية وتحليلها.

ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن، إذ يقوم على استعراض المفاهيم اللسانية الحديثة ثم مقابلتها بما يناظرها في التراث البلاغي العربي، مستشهداً بنصوص من القرآن الكريم والشعر العربي وكلام البلاغيين العرب القدامى كعبد القاهر الجرجاني والجاحظ وبشر بن المعتمر والقزويني. وقد تضمن البحث استعراضاً تفصيلياً للمعايير السبعة التي حددها دي بوكراند، وهي: السبك الذي يعالج الترابط الشكلي والنحوي بين عناصر النص، والحبك الذي يُعنى بالترابط الدلالي والمفهومي، والقصدية المرتبطة بغاية المتكلم وهدفه، والتقبلية المتعلقة بموقف المتلقي وقدرته على الاستقبال، والإعلامية الدالة على درجة جدة المعلومة وتوقعها، والمقامية التي تستحضر السياق الاجتماعي والموقفي، والتناص الذي يربط النص بما سبقه من نصوص وأقوال.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يُسهم في ردم الهوة الوهمية التي يتصورها بعض الباحثين بين التراث البلاغي العربي والدرس اللساني الحديث، إذ يُثبت أن ما توصل إليه الغربيون من نظريات في تحليل النص إنما هو في جانب كبير منه استمرار وتطوير لما أسسه العرب القدامى في مجال دراسة اللغة والبلاغة. ويُلقي البحث الضوء على حاجة ملحة لإعادة قراءة التراث البلاغي العربي قراءةً لسانيةً معاصرة، تنتشله من نطاق الدراسة المعيارية التراثية إلى رحاب التحليل الوصفي المنهجي، مما يُضفي عليه حيويةً جديدة ويجعله شريكاً فاعلاً في مسيرة التفكير اللساني الإنساني. وهو ما يجعل هذا الجهد العلمي ذا أثر بالغ في الدراسات البلاغية واللسانية العربية الحديثة على حدٍّ سواء.

في اللسانيات:

تعرف اللسانيات بأنها الدراسة الموضوعية للسان البشري، ويعرفها علماء اللغة في العصر الحديث بأنها العلم الذي يدرس اللغة دراسة علمية ووصفية.(١)

فالعلمية نسبة إلى العلم وهو بوجه عام المعرفة الموثوقة التي يتوصل إليها الباحث عن طريق استخدام منهج علمي له إجراءاته وقوانينه الخاصة به، كدراسة ظاهرة ما عن تفسيرها، فالعلمية باختصار تعني دراسة ظاهرة واخضاعها للتجربة والتحليل والاستقراء، ثم استنتاج القانون أو النظرية، فاللسانيات باعتبارها علما موضعه الأساسي اللغة الإنسانية، تطمح أن تكون دراسة وصفية علمية بعيدة عن الاعتبارات المعيارية التي طبعت بها الدراسات اللغوية والنحوية منها الخاصة.(٢)

والوصفية مصطلح يطلق في الدراسات اللسانية على كل دراسة لغوية تهدف إلى دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها: في ذاتها أي: دراسة اللغة من داخلها والولوج في باطنها لاستكشاف أسرارها، واستكناه جوهرها، ومعرفة القوانين التي تتحكم في بنيتها ، ولأجل ذاتها: أي أن كل الدراسات والأبحاث التي ينجزها اللسانيون إنما تكون كلها من أجل فهم اللغة والتعرف على أسرارها.(٣)

اللسانيات إذن: علم يدرس اللسان البشري الذي تظهر أصواته وتتحقق في لغات كثيرة ولهجات عدة، وصور مختلفة من الكلام دراسة تهدف إلى الكشف عن ماهية كل منها، والآلية التي تعمل بها، منطلقا من أن كل لغة ليست إلا منظومة كليّة لها سماتها وخصائصا وعناصرها، وبنيتها ومستوياتها التراتبية، وعندما تتخذ اللسانيات من اللسان موضوعا لها فإنها تدرسه دراسة موضوعية، وصفية وتاريخية مقارنة، للكشف عن القوانين العامة التي التي تفسر الظواهر اللغوية الخاصة بكل لغة، وعن القوانين المؤثرة في حياة اللغات في كل مكان، ويدرس أيضا العلاقات القائمة بين اللغات المختلفة، أو بين مجموعة من هذه اللغات ويبحث في وظائفها وأساليبها وعلاقاتها بالنظم الاجتماعية المختلفة.(٤)

اللسانيات النصية/ التطبيقية:

وللسانيات أنواع عديدة، ومايعنينا منها في بحثنا هذا اللسانيات النصية / التطبيقية باعتبارها اتجاه لغوي يعنى بدراسة النص من وجهة النظام الداخلي ومن ناحية كيفية التحامه وتماسكه النصي عن طريق تحقيق الاتساق والانسجام ويهتم كذلك بالبنية التركيبة له، إذ إن لسانيات النص تبحث في الآليات اللغوية والدلالية التي تساهم في بناء النص، أي أنّها تقف على ذاتية النّص في حدّ ذاتها متجاوزة بذلك الجملة المنعزلة، فهي تهتمّ بالنّص باعتباره متتالية من الجمل المترابطة شكلا و مضموناً .(٥)

المعايير النصيّة:

يرى روبرت دي بوكراند أنّ "النص حدث تواصلي يشترط أن تتوفر فيه آليات سبعة" (٦)، منها ما يتصل بالنص في ذاته ، ومنها ما يتصل بمستعملي النص، ومنها ما يتصل بالسياق الخارجي للنص، وهي كالآتي:

١-السبك

٢- الحبك.

٣-القصدية.

٤-التقبلية.

٥-الإعلامية.

٦-المقامية.

٧-التناص.

منها مايتصل بالنص وهما (السبك والحبك)، ومنها مايتعلّق بالمتلقي وهي: (القصدية، والتقبلية، والإعلامية)، ومنها مايتعلّق بالسياق، وهما الأخيران (المقامية والتناص).(٧)

وعلى وفق هذه المعايير ومتعلقاتها؛ سوف نلاخظ هل هناك تقارب بين اللسانيات والبلاغة؟ أم هناك منافرة بين الاثنين؟ هذا على وفق ماذكره أحد النقاد في توسيع دائرة البحث البلاغي، وبسط أفقه، ولايقف عند حدود الجملة كما نهجه الباحثين واتخذوه مسارا لتوجيه بحوثهم البلاغية معتمدين على (المعيارية) التي قضمت حرية الفن البلاغي ، بل يتعداها إلى النظر ككل متماسك وهيكل متواصل الأجزاء، نقدر تناسقه وجمال أجزائه، وحسن ائتلافه، ونتحدث فيما لابد منه من شؤون فنية.

اللسانيات والبلاغة:

وعلى وفق ماذكرناه _سابقا _ نرجع إلى تعريف البلاغة، وهي كما وردت عند القزويني بقوله: " وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"(٨) منطلقا لبيان مدى ترابطه مع اللسانيات.

مطابقة الكلام = النص.

مقتضى الحال = السياق.

فصاحة الكلام = المتلقي.

ونلاحظ خلال ماقدمناه – أعلاه– أن التقارب بين البلاغة واللسانيات أخذ مداه على وفق ماتمثل لنا في مقاربتهما من الزوايا الثلاث (النص، والمتلقي، والسياق)؛ فكل ماينطبق على النص من أساليب بلاغية ولسانية تحقق النظرة الشمولية في الغور في الكشف عن اللغة وبيان مستوياتها الجمالية، كذلك الأمر على ماينطبق على المتلقي والسياق.

فالمعايير التي وضعها (دي بوجراند) كشروط نصيّة، هي في الأصل بلاغية، وسوف نلاحظ ذلك خلال تناولنا لبعض الأساليب البلاغية:

١ – **السبك:** " السّبك يعنى بِالكيفية التي يتمّ بها ربط العناصر اللّغوية على مستوى البِنية السّطحية في النّص بِحيث يؤدي السّابق مِنها إلى اللاّحق"، ويتحقق حينما يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السّابق مِنها إلى اللاّحق بِحيث يتحقق بها

التّرابط الوصفي ، وبحيث يمكن استعادة هذا التّرابط، ووسائل النّظام تشتمل على هيئة نحويّة للمركبات والتّراكيب والجمل وعلى أمور مثل: التّكرار

والألفاظ الكنائية والإحالة المشتركة والحذف والرّوابط،(٩) والسبك على قسمين: قسم يتعلق بالربط النحوي، وقسم يتعلق بالربط المعجمي.

من أساليب السبك البلاغية:

أ-**الوصل والفصل:** الوصل عطف جملة على أخرى (بالواو)، وأما الفصل ترك ذلك العطف.(١٠)

موضع الفصل: قال أبو العلاء المعرّي:

وحب العيش أعبد كلّ حرٍّ وعلّم سابغا أكل المُرار

وموضع الفصل: قال أبو الطيب:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

إذ نلحظ السبك في الجملتين؛ الجملة الثانية لم تأت إلا توكيدا للجملة الأولى، أو الشطر الثاني توكيدا دلاليا للشطر الثاني.

ب – التقديم والتأخير :

يقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الباب: " هو باب كثير الفوائد جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، ولاتزال ترى شعرا يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى مكان".(١١) مثال ذلك قوله تعالى: " وأما اليتيم فلاتقهر وأما السائل فلاتنهر"، إذ جاء التقديم هنا لبيان أمر مهم يختص بالعناية باليتيم ومساعدة السائل.

٢ – الحبك:

أو الالتحام وهو يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد التّرابط المفهومي واسترجاعه "بمعنى أنّه : تلك الطريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّص ويظهر هنا الرّبط المنطقي للأفكار التي تعمل على تنظيم الأحداث والأعمال داخل بِنية الخِطاب وهو يختصّ بالاستمراريّة في عالم النّص أيْ الاستمرارية الدّلالية التي تتجلى في منظومة للمفاهيم والعلاقات الرّابطة بين هذه المفاهيم(١٢).

ومن أمثلتها (علاقة القسم بجوابه، وعلاقة الشرط بجوابه، علاقة السبب بالنتيجة، ومنها الطباق والمقابلة، ومراعاة النظير المشاكلة).

المشاكلة وهي "ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، أي لمجيئه معه وأمن اللبس معمول فيه على معمول اللفظ الذي تمت المشاكلة به، أو على عامله"

مثال قوله تعالى في سورة الشورى الآية (٤٠): " وجزاء سيئة سيئة مثلها"

أقام (سيئة) الثانية مقام عقوبة، لتشاكل (سيئة) الأولى. (١٣)

٣- القصديـة:

ارتبط هذا المفهوم بالغاية والقصد من النتاج – عامة – أشار الجاحظ إلى القصد في تعريفه للبيان، إذ يقول : " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنا ماكان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام..." .(١٤)

ومن مظاهر القصد، أن لايكون هناك غموض في الكلام، ولا يكون هناك تعقيد في الكلام لفظي أو معنوي، أو تنافر الكلمات مجتمعة.(١٥)

تتحقق القصدية بمظاهر عديدة؛ نأخذ منها:

أ – الكناية:

تعد الكناية من الأساليب المهمة التي تحقق القصدية؛ إذ أن المتكلم يريد إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، لكنه يجيء إلى معنى آخر ردفه في الوجود، فيوميء به إليه، ويجعله دليلا على المعنى الأول.(١٦)

مثال ذلك من سورة النساء:

" يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا"

الكناية هنا في لفظة (ضعيفا)؛ إذ لايقصد بها الضعف البدني بل قصد بها ضعف الإنسان أمام غرائزه جميعا.

ب – الإطناب بالزيادة:

وهو يكون بزيادة في الألفاظ على أصل المعنى الذي يراد بيانه لمقصدية ما.

مثال ذلك من سورة القدر:

"تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر"

إن عبارة (الروح) وهو جبريل – عليه السلام– من الإطناب بالزيادة لأن جبريل داخل في عموم الملائكة ولكنها زيادة ذا مقصدية؛ إذ الغرض من تخصيصه بالذكر بعد دخوله في عموم الملائكة الإشعار بتكريمه وتعظيم شأنه، حتى كأنه يُعطف على الملائكة.

ومثال آخر قول ابن المعتز يصف فرسا:

صببنا علينا – ظالمين – سياطنا فطارت بها أيد سراع وأرجلُ

إن قول (ظالمين) من الإطناب بالزيادة لمقصد ما، والداعي لهذا الإطناب أو المقصد البلاغي هو (الإحتراس)؛ إذ لو لم يوجد هذا الإحتراس لتوهّم المتلقي أن فرس (ابن المعتز) كان بليدا يستحق الضرب بالسياط، فكأن قول الظامين دافعا لهذا التوهم.(١٧)

٤– القبول أو التقبليّة:

وهو يتضمن موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث نص ذو سبك والتحام (١٨)

فكرة القبول أو التقبلية تتجه نحو المتلقي، الذي هو جزء أساسي من العملية الإبداعية، إذ لا يحقق الإبداع مقصدية إلا بوجود المتلقي..

والتقبلية في البلاغة العربية لا تقتصر على مجرد استقبال النص، بل ترتبط ارتباطاً عضوياً بمراعاة درجات المخاطَبين وأحوالهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية. وهذا ما أشار إليه الجاحظ بوضوح حين قال ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات. فهذه الموازنة التي يُشير إليها الجاحظ هي في جوهرها مبدأ التقبلية ذاته الذي صاغه دي بوكراند بمصطلحاته اللسانية، إذ كلاهما يُقر بأن النص لا يكتمل إلا بوجود متلقٍّ قادر على استيعابه وتأويله وفق أُطره المعرفية والثقافية الخاصة. ومن هنا جاء اهتمام البلاغيين العرب بتصنيف أساليب الخطاب بحسب طبيعة المخاطَب: فثمة أسلوب يُناسب العامة، وآخر يليق بالخاصة، وثالث يُوجَّه إلى السلطان أو العالِم أو المريد، لأن أثر الكلام في نفس المتلقي لا يتحقق إلا إذا استجاب لتوقعاته وانسجم مع قدراته الاستيعابية.

ومن أبرز الأساليب البلاغية التي تُحقق التقبلية في الخطاب العربي أسلوب التدرج في الإقناع؛ إذ يبدأ المتكلم بما يألفه المخاطَب ثم يقوده تدريجياً نحو الفكرة الجديدة التي يريد إيصالها، وهو ما يُعرف في البلاغة بأسلوب التمهيد والتوطئة. ومن ذلك أيضاً أسلوب التلطف في الخطاب حين يكون المخاطَب في مقام يستوجب الاحترام والمراعاة، كما في قوله تعالى في خطاب موسى وهارون لفرعون: "فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى". فهذه الآية الكريمة تُجسِّد بأعلى صورة مبدأ التقبلية، إذ تأمر بمراعاة حال المخاطَب ونفسيته وما قد يُؤثِّر فيه من أسلوب القول، حتى وإن كان ذلك المخاطَب في موقع الخصم أو الضال. وهذا التوجيه القرآني يكشف أن البلاغة العربية ربطت بين نجاح الخطاب وبين انفتاحه على أفق المتلقي ومراعاة قابليته للتأثر والاستجابة، وهو المفهوم الجوهري الذي تُعنى به التقبلية في الدرس اللساني الحديث.

وتبرز التقبلية كذلك في ما يُعرف بلاغياً بأساليب الاستمالة والإقناع، حيث يُفرِّق البلاغيون بين ثلاثة مستويات من وسائل التأثير في المتلقي: الاستمالة العقلية القائمة على البرهان والحجة، والاستمالة العاطفية التي تستثير المشاعر والوجدان، والاستمالة الخلقية التي تستند إلى صدق المتكلم ونزاهته. ولا يختار المتكلم البليغ بين هذه المستويات عشوائياً، بل يُقدِّر أيها أكثر تأثيراً في نفس مخاطِبه بعينه، وهو تقدير لا يتأتى إلا بفهم عميق لطبيعة المتلقي وما يُهيئه للقبول والتفاعل. وبهذا يكون مفهوم التقبلية عند البلاغيين العرب أكثر شمولاً وأعمق أثراً مما قد يُوحي به الوصف اللساني الحديث له، لأنه يمتد من مراعاة مستوى الفهم إلى مراعاة الوجدان والقيم والبنية الثقافية للمتلقي في آنٍ واحد.

٥- الإعلاميـة، أو الإخباريّـة:

حدد علماء لغة النص لمصطلح الإعلامية ثلاثة مفاهيم:

١-الإعلامية بالمعنى العام تدل على أن يقدم خبرا ما، أي الإعلامية = الإخبارية.

٢- الإعلامية بمعنى الجدّة وعدم التوقع، وتدلّ على مايجده المتلقي في النص، من جدّة وإبداع ومخالفة الواقع، على مستوى صياغة النص أو مضمونه.

٣- الإعلامية بمعنى الدعاية، إيجابا أو سلبا لشخص ما أو لفكرة ما او لمذهب ما.

فالإعلامية ترتبط بإنتاج النص واستقباله لدى المتلقي، ومدى توقعه لعناصره.(١٩)

ويعد الخبر كأسلوب بلاغي يعنى بالكلام الذي يحتمل الصدق أو الكذب، لذاته، أي بغض النظر عن قائله، ويتسم بمقصدين من إلقائه:

الأول : أن يفيد السامع شيئا لم يكن له به علم من قبل، كأن تقول لمن لايعرف شيئا عن نشأة البلاغة: نشأت البلاغة في ظل الدراسات القرآنية، ويسمى الكلام في مثل هذه الحالة فائدة الخبر، أي إن فائدة الخبر حين نعطي السامع خبرا لم يكن على علم به.

الثاني: قد يلقى الخبر لشيء آخر، كأن يكون السامع على علم بمضمون الخبر، لكن المتكلم يريد أن يخبره بأنه يعرف الأمر مثله، كأن تقول لمن أخفى سفره: (سافرت إلى القاهرة يوم الجمعة الماضية)، ويسمى ذلك لازم الفائدة.

خلاصة ذلك : أن الخبر قد يلقى لمن لايعرف شيئا عن مضمونه ويسمى فائدة الخبر، ويلقى لمن يعرف المضمون ، ويسمى لازم الفائدة.(٢٠)

٦- المقامية، (مقتضى الحال):

يعد مفهوم المقامية جزءا من مفهوم السياق؛ فالسياق يدل على معنيين يمكن تحديدهما في أمرين هما: السياق اللغوي، والسياق الاجتماعي، فالمقامية تشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي أو بموقف قابل للاسترجاع. (٢١)

ولحظنا ذلك عن الكثير من البلاغيين؛ منهم بشر بن المعتمر في صحيفته التي جاءت في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، لوجدنا هناك إشارات لمقتضى الحال، من ذلك قوله : "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام مقال" (٢٢).

كذلك الجاحظ يقول " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازي بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما" .

مثال ذلك عيب على بشار بن برد قوله في جارية له اسمها (رباب) في قوله:

رباب ربة البيت تصب الخلّ بالزيت

لها أربع دجاجات وديك حسن الصوت

فقيل له: كيف تقول مثل هذا وأنت صاحب الشعر الفخم الجزيل البديع؟ فأجابهم: إن هذا أجمل عندها – أي الجارية– من قفا نبكِ (أي معلقة زهير).

٧ – **التناص، الاقتباس والتضمين في البلاغة**، ويشمل السرقات أيضا.

وهو أن يضمن المتكلم كلامه من شعر أو نثر كلاما لغيره بلفظه أو بمعناه، وهذا الاقتباس يكون من القرآن الكريم، أو من أقوال النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – أو من الأمثال السائدة، أو الحكم المشهورة. (٢٣)

مثال ذلك:

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم أنا باخع نفسي على آثارهم

مقتبس من قوله تعالى لرسوله الكريم" فلعلك باخع نفسك على آثارهم".

تحليل ومناقشة: البلاغة العربية والدرس اللساني وجهاً لوجه

بعد استعراض المعايير النصية السبعة ومقابلتها بالأساليب البلاغية العربية المناظرة لها، يتجلى بوضوح أن ما يبدو للوهلة الأولى تبايناً بين حقلين معرفيين مختلفين هو في حقيقته توافقٌ منهجي عميق يتجاوز مجرد التشابه السطحي في بعض المفاهيم. فالمتأمل في مسيرة الفكر البلاغي العربي منذ عصور الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني يلاحظ أن هؤلاء العلماء لم يكونوا يضعون قواعد جمالية فحسب، بل كانوا يبنون نظرية متكاملة في فهم الخطاب وتحليله،

تنطلق من اللغة بوصفها ظاهرة تواصلية اجتماعية قبل أن تكون ظاهرة شكلية بلاغية. وهذا بالضبط ما جاءت لسانيات النص لتُوَطِّره وتُقَنِّنه في ضوء المناهج العلمية الحديثة.

وإذا أردنا أن نُحدِّد أبرز ما كشفت عنه هذه المقاربة التحليلية المقارنة، فيمكن القول إن البلاغة العربية تفوَّقت في جانب جوهري على كثير من النظريات اللسانية الغربية التي سبقت دي بوكراند، وهو جانب الاعتناء بالمتلقي ودوره المحوري في اكتمال العملية التواصلية. فبينما ظلَّ كثير من اللسانيين الأوائل منشغلين بالنظام اللغوي الداخلي وبنية الجملة المجردة، كان البلاغيون العرب يُنبِّهون إلى أن الكلام لا يكتسب قيمته إلا في سياقه الاجتماعي وعلاقته بمستمعه المحدد. ويظهر هذا جلياً في الاهتمام البلاغي بالفرق بين الخبر والإنشاء، وبين مقتضى الحال ومخالفة مقتضى الحال، وبين أساليب الترقيق والتهويل والتعجب والاستفهام البلاغي، وكلها أساليب تُرتِّب أثرها على نفسية المتلقي وتوقعاته لا على بنية الجملة في ذاتها.

ومما يزيد هذه المقاربة ثراءً ورسوخاً أن النص القرآني الكريم كان المختبرَ الأول والأعمق الذي صقلت فيه البلاغة العربية مفاهيمها وأدواتها. فالقرآن الكريم نص يجمع في آنٍ واحد أعلى درجات الاتساق والانسجام الداخلي، وأرقى صور التوجه نحو المتلقي والتكيف مع حاله ومقامه، وأكثر النصوص توظيفاً لآليات التناص مع الموروث الثقافي والديني للمخاطَبين. وقد كان هذا النص هو الدافع الأول الذي جعل العلماء العرب يتوقفون عند أسراره البيانية ويُطوِّرون أدواتٍ تحليليةً رفيعة قادرة على الكشف عن طبقاته الدلالية ومستوياته الأسلوبية. وبهذا فإن نشأة البلاغة العربية لم تكن ترفاً فكرياً بل كانت استجابةً علمية جادة لفهم ظاهرة لغوية وتواصلية بالغة التعقيد والعمق.

ويخلص التحليل المقارن الذي أجراه هذا البحث إلى أن مسألة الأولوية التاريخية ليست هي المحور الأهم في هذه العلاقة، بل المحور الأهم هو إدراك أن الفكر الإنساني في مساعيه لفهم اللغة وظواهرها يسلك مسالك متقاربة حتى وإن تباعدت الأزمنة والثقافات. فالبلاغيون العرب واللسانيون الغربيون المحدثون كلاهما يُحاولان الإجابة عن السؤال ذاته: ما الذي يجعل النص ناجحاً في بلوغ غايته، وما الذي يُحقق الانسجام بين المتكلم ونصه ومتلقيه؟ وحين نُدرك هذا التوازي الفكري ندرك أيضاً أن البلاغة العربية ليست تراثاً أثرياً ينتمي إلى الماضي وحده، بل هي منظومة معرفية حية قادرة على الانخراط في الحوار العلمي المعاصر بكل جدارة واستحقاق، وهو ما يُشكِّل الأرضية المنهجية التي تنهض عليها نتائج هذا البحث وتوصياته.

الخاتمة

يتضح من خلال هذا البحث أن اللسانيات النصية الحديثة لم تنشأ بمعزل عن التراث البلاغي العربي، بل إن معظم معاييرها النصية تجد مقابلاتها الواضحة في النظريات البلاغية العربية القديمة. فمفاهيم كالسبك والحبك والتقديم والتأخير والإطناب والتضمين والكناية هي أدوات بلاغية أصيلة أسهمت منذ زمن مبكر في تحليل الخطاب وإنتاج المعنى. ومن هنا، فإن العلاقة بين البلاغة واللسانيات ليست علاقة تقابل أو تعارض، بل علاقة امتداد وتكامل، تؤكد أن البلاغة العربية صنعت منهجاً تحليلياً عميقاً يمهّد لما جاء لاحقاً في الدرس اللساني الحديث. وهذا يدعو إلى إعادة قراءة التراث البلاغي بوصفه مرجعاً منهجياً لا يقل علمية عن النظريات الغربية المعاصرة، وإلى تعزيز التواصل بين الفكر العربي القديم ومفاهيم التحليل اللغوي الحديث. ومما يُرسِّخ هذا الاستنتاج أن البلاغيين العرب القدامى لم يكونوا مجرد شارحين لظواهر جمالية، بل كانوا في جوهرهم منظِّرين لغويين عميقي النظر في طبيعة الخطاب وشروط نجاعته. فحين يُحدد الجاحظ شرط البيان بالإفهام والتأثير في السامع، وحين يُصنِّف بشر بن المعتمر اشتراطات الخطاب الناجح بحسب المقام والمقال، وحين يُحلِّل عبد القاهر الجرجاني ظاهرة التقديم والتأخير تحليلاً وظيفياً يكشف عن دور البنية التركيبية في إنتاج الدلالة وتعزيز الأثر، فإنهم بذلك يُمارسون فعلياً ما تُسمِّيه اللسانيات الحديثة بالتداوليات وتحليل الخطاب وعلم النص، حتى وإن اختلفت المصطلحات وتباينت السياقات الزمنية والثقافية.

وقد خلص البحث إلى جملة من النتائج الجوهرية يمكن إجمالها فيما يلي: أولاً، أن المعايير النصية السبعة التي أطَّرها دي بوكراند لم تكن وليدة الفكر الغربي المعاصر وحده، بل هي في حقيقتها استعادة منهجية لمفاهيم بلاغية عربية راسخة صيغت في قوالب اصطلاحية مختلفة. ثانياً، أن السبك بمفهوميه النحوي والمعجمي يتجلى في الأساليب البلاغية للوصل والفصل والتقديم والتأخير، وأن الحبك الدلالي يحضر بوضوح في علاقات المشاكلة والطباق والمقابلة ومراعاة النظير. ثالثاً، أن القصدية التي يتحدث عنها علماء النص هي المقصدية ذاتها التي عناها الجاحظ بالبيان، إذ كلاهما يربط الخطاب بغاية المتكلم وأثره في المخاطَب. رابعاً، أن المقامية التي تُؤطِّر النص بسياقه الموقفي هي في جوهرها ما أسَّس له البلاغيون بمفهوم مقتضى الحال، وذلك الأصل الراسخ الذي قام عليه علم المعاني بكامله.

وفي ضوء ما انتهى إليه البحث، يُوصي الباحث بجملة من المقترحات العلمية التي من شأنها إثراء الدراسات البلاغية واللسانية العربية المعاصرة: يُوصي أولاً بضرورة إعادة تأطير مناهج تدريس البلاغة في الجامعات العربية على أسس لسانية حديثة، بحيث لا تُقتصر البلاغة

على الحفظ والتصنيف، بل تُوظَّف أداةً تحليليةً فاعلة في قراءة النصوص وتفسيرها. ويُوصي ثانياً بتشجيع الدراسات المقارنة بين الموروث البلاغي العربي والمناهج اللسانية الحديثة، مع تجنب نزعة الاستتباع والتبعية العمياء، والانطلاق من ثقة منهجية بما أنجزه العقل البلاغي العربي. ويُوصي ثالثاً بإعادة النظر في كتب التراث البلاغي كدلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني والبيان والتبيين للجاحظ وغيرهما، قراءةً لسانيةً نصيةً تستخرج منها المفاهيم الكامنة وتجعلها في حوار مثمر مع ما أنجزه علم النص الحديث، على نحوٍ يُعزز الهوية العلمية للدرس اللغوي العربي ويُرسِّخ حضوره في الفضاء الأكاديمي العالمي.

الهوامش:

(١)ينظر: مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٠: ٩.

(٢)ينظر: مباحث في اللسانيات، أحمد حساني ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٧٤: ١٥.

(٣)ينظر: اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢: ١٨٧.

(٤)ينظر: مدخل إلى اللسانيات العامة، د. حسني خاليد، منشورات آنفو براينت، د.م، د.ط، د.ت : ٨

(٥)البحث العلمي في ضوء اللسانيات التطبيقية، د. هارون مجيد، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، الجزائر، العدد (٨)، ٢٠١٨: ١١٧.

(٦) النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧ : ١٠٣.

(٧)ينظر : المصدر نفسه: ٨.

(٨)الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، كتاب مطبوع على آلة الحاسبة.

(٩)ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(١٠)ينظر: البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢: ٢٥١.

(١١) دلائل الاعجاز .عبد القاهر الجرجاني،شرح وتعليق محمد محمود شكر،مكتبة الخانجي،القاهرة.

(١٢) ينظر: آليات ترابط النص القرآني ،رشيد برقان، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، د. ط ، ٢٠١٥ : ٣٤.

(١٣)البلاغة الاصطلاحية: ١٠٣.

(١٤)البيان والتبيين ، أبو عمرو بحر بن عثمان الجاحظ،

(١٥) ينظر: البلاغة الاصطلاحية: ٢٥.

(١٦) ينظر: دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤ : ٦٦.

(١٧)ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦ ، ج٢: ٦٤- ٦٥.

(١٨)ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.

(١٩)ينظر: نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ : ٧٠.

(٢٠)بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني ، د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٩٩١: ١٤ – ١٥.

(٢١)النص والخطاب والإجراء: ١٠٤.

(٢٢)البيان والتبين،الجاحظ،شرح وتعليق عبد السلام هارون،دار الكتب العلمية.

(٢٣)ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

المصادر

١.آليات ترابط النص القرآني ،رشيد برقان، افريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، د. ط ، ٢٠١٥

٢.الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني، كتاب مطبوع على آلة الحاسبة.

٣.البحث العلمي في ضوء اللسانيات التطبيقية، د. هارون مجيد، مجلة اللغة الوظيفية، جامعة الشلف، الجزائر، العدد (٨)، ٢٠١٨

٤.البلاغة الاصطلاحية، د. عبده عبد العزيز قلقيلة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢

٥.بلاغة التراكيب دراسة في علم المعاني ، د. توفيق الفيل، مكتبة الآداب، القاهرة، د.ط، ١٩٩١

٦.البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦ ، ج٢

٧.جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، السيد أحمد الهاشمي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠.

٨.دلائل الاعجاز.عبد القاهر الجرجاني،شرح وتعليق محمد محمود شكر،مكتبة الخانجي،القاهرة.

٩.دلائل الاعجاز، عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٤

١٠.اللسانيات النشأة والتطور، أحمد مؤمن، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ٢٠٠٢:

١١.مباحث في اللسانيات، أحمد حساني ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، ط١، ١٩٧٤

١٢.مقدمة لدراسة علم اللغة، حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، الأسكندرية، ط١، ٢٠٠٠: ٩.

١٣.النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، تر: د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧

١٤.نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري، د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧

Sources

.١Mechanisms of Cohesion in the Qur'anic Text, Rachid Barqan, Africa Al Sharq, Casablanca, Morocco, n.d., 2015

.٢Al-Idah fi Ulum al-Balaghah (Clarification in the Sciences of Rhetoric), Jalal al-Din al-Qazwini, typewritten book.

.٣Scientific Research in Light of Applied Linguistics, Dr. Haroun Majid, Journal of Functional Language, University of Chlef, Algeria, Issue (8), 2018

.٤Terminological Rhetoric, Dr. Abdo Abdel Aziz Qalqila, Dar al-Fikr al-Arabi, Cairo, 3rd ed., 1992

.٥The Rhetoric of Structures: A Study in Semantics, Dr. Tawfiq al-Fil, Library of Literature, Cairo, n.d., 1991

.٦Arabic Rhetoric: Its Foundations, Sciences, and Arts, by Abd al-Rahman Hassan Habanka, Dar al-Qalam, Damascus, 1st ed., 1996, vol. 2

.٧The Jewels of Rhetoric in Meaning, Expression, and Figures of Speech, by Sayyid Ahmad al-Hashimi, Dar al-Fikr for Printing, Beirut, Lebanon, 2000

.٨The Signs of Inimitability, by Abd al-Qahir al-Jurjani, explained and annotated by Muhammad Mahmud Shukr, al-Khanji Library, Cairo 9. The Signs of Inimitability, by Abd al-Qahir al-Jurjani (d. 471 AH), read and annotated by Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Khanji Library, Cairo, 5th edition, 2004.

.١٠Linguistics: Origins and Development, by Ahmed Momen, National Office for University Publications, Algeria, 1st edition, 2002.

.١١Studies in Linguistics, by Ahmed Hassani, National Office for University Publications, Algeria, 1st edition, 1974.

.١٢An Introduction to the Study of Linguistics, by Helmy Khalil, University Knowledge House, Alexandria, 1st edition, 2000.

.١٣Text, Discourse, and Procedure, by Robert de Beaugrande, translated by Dr. Tamam Hassan, Alam al-Kutub, Cairo, 2007.

١٤. Text Theory: A Methodological Perspective on the Construction of Prose Texts, by Dr. Hossam Ahmed Farag, Al-Adab Library, Cairo, 1st edition, 2007 .